الحلقة (١٩)

توقفنا في الحلقة الماضية على الحديث عن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، **فهذا الكتاب فهرس لتسعة من الكتب وهي**: السنن الأربعة، والصحيحين، والموطأ، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وهذا كتاب ميسر، حيث وضع مختصرات في أسفل كل صفحتين متقابلتين في الكتاب، فإذا نسي الباحث الرموز يجدها مرقومة أسفل الصفحتين المتقابلتين في الكتاب مثل خ: البخاري، أ: أحمد بن حنبل، ط: موطأ مالك، م: مسلم وهكذا لكل واحد من الكتب رمزا معينا، وحينما يكون الحديث في كتاب معين يذكر: خ صلاة ١١، أي كتاب البخاري الصلاة الباب الحادي عشر، وهكذا، بعضها بالكتاب ورقم الحديث كمسلم، وبعضها بالكتاب ورقم الباب، وبعضها بالكتاب ورقم الصفحة، في مسند الإمام أحمد نجده يذكر الجزء والصفحة، وهكذا عمل فهرسا للأحاديث، وهو فهرس جيد وييسر على الباحث الوصول إلى الكتب التي خرجت الحديث، لكن الآن أصبح هناك تطورا كبيرا في هذا المجال، لظهور الفهرسة الالكترونية والموسوعات الحديثية، التي يستطيع بواسطتها الطالب الوصول إلى الحديث بيسر وسهولة وإلى من خرجه من أصحاب الصحاح أو الأسانيد أو السنن أو نحوها، فلم يعد التخريج أمراً صعبا يحتاج التقليب في الصفحات والنظر فيها كما كان من قبل، لكن حينما نذكر مثل هذه الكتب لأن الباحثين ليسوا على حد سواء من حيث توفر الوسيلة والقدرة على استخدام الحاسب، فالكتاب عادة في متناول الجميع وأمره متيسر، وإلا الجانب الالكتروني يغني عنه ويوفر الجهد والوقت.

هناك **كتب مؤلفة في الأحاديث الموضوعة** منها "اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" للسيوطي و"الموضوعات" لابن الجوزي وغيرها من الكثير.

من الكتب **في غريب الحديث، شرح معاني الحديث** كتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير وهذا الكتاب متأخر وجامع، واستفاد ممن سبقه في هذا الفن، وهناك كتب في إعراب الأحاديث.

بعض الكتب المهمة في هذا مجال الحديث التي صنفت في أسماء الصحابة ومن أميزها وأجمعها كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر، هذا الكتاب عمله حسب حروف الهجاء، وقسمه إلى أربعة أقسام، قسم الصحابة إلى مستويات، مثلاً الذين ثبتت صحبتهم، والذين لم تثبت، وخص للنساء قسما، وللرجال قسما، فهو كتاب مميز في فنه، ولأن ابن حجر كان متأخرا فكان كتابه جامعا.

من الكتب في الرواة "تهذيب التهذيب" ونحوها.

المصادر في تخريج الحديث بالإضافة للكتب التي ذكرت في الدلالة على مواضع الأحاديث **كتب تخريج**

تتضمن بيان من خرجه من أصحاب الصحاح أو المسانيد أو السنن والحكم على الأحاديث ومن تلك المصادر كتاب "نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية" و"الدراية في تخريج أحاديث الهداية" و"تلخيص الحديث" لابن حجر وغيرها من الكتب التي اعتنت بتخريج الأحاديث.

بعض المحدثين عملوا تخريجاً لبعض الأحاديث لعض من الكتب، سواء من القدماء مثل "تخريج الأحاديث" عمله زين الدين العراقي على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي فخرج أحاديثه.

ومن المعاصرين الذين خرج الأحاديث لبعض الكتب مثل الألباني الذي خرج أحاديث بعض الكتب سواء في الفقه أو في غيره.

<u>بعض الكتب التي ألفت في الرد والدفاع عن السنة</u> مثل الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، والأنوار الكاشفة في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، والسنة ومكانتها في التشريع، هذه مجموعة من الكتب المفيدة.

الكتب الأخرى هي لأصحاب الاختصاص لا نتعرض لها.

<u>بالنسبة للسيرة النبوية</u> طبعا الكتاب المشهور هو كتاب ابن هشام الذي اختصر فيه كتاب ابن إسحاق، وهناك كتب أخرى في السيرة كثيرة، نحن نسير ونذكر بعض المراجع مثل "كتاب زاد المعاد لهدي خير العباد" لابن القيم جمع فيه بين الفقه وبين السيرة، وهو كتاب جامع وقد حقق تحقيقا طيبا وخُرّج.

<u>الفقه وأصوله</u> هناك كتب التي تهم حقيقة طالب العلوم الشرعية وهي الكتب المؤلفة في الفقه وفي أصوله، وهي كثيرة جدا، لكن يحسن بطالب الشرعية **أن يكون لديه علم على الأقل بأمهات المراجع في المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة،** فمثلاً **في الفقه الحنفي** هناك "المبسوط" وهو يعتبر موسوعة واسعة، ويعتبره البعض من أنه أكبر ما صنف في الفقه والفقه المقارن، وأن الذي جاء من بعده كان عالة عليه في كثير من النقل، هذا طبعا في المذهب الحنفي في الفقه الحنفي، وفي **الفقه المالكي** طبعا معروف أساس الفقه المالكي "المدونة الكبرى" للإمام مالك وما كُتب من بعد، سواء حول هذه المدونة شرحا أو غيره، ومن الكتب الجيدة ليس لاتساعها وكونها أساس في المذهب؛ ولكن لأنها تعوِّد أو يمكن أن تعين الطالب على تكوين الملكة الفقهية كتاب: "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد كتاب فقه مقارن، وهو كتاب مختصر، لكن فيه ميزة ممتازة جدا وهو أنه يبدأ بالكليات ثم الجزئيات التي تتفرع منها في ترتيب منطقي دقيق إلى أن يصل إلى المسائل مسألة مسألة، ويورد بعد ذلك الآراء الفقهية والمناقشات والترجيح، قد لا يستوفي الآراء الفقهية وقد لا يذكر بعض أئمة المذاهب، لكن الميزة كما قلت أنه يعوّد الطالب على التفكير المنطقي المرتب، وهو آخذ برقاب بعضه بعضا حتى ينتهي إلى أدق جزئية التي هي المسألة.

هناك بالنسبة **للفقه الشافعي** "الأم" للإمام الشافعي وهناك "المجموع شرح المهذب" للنووي وقد أكمل

من بعده.

الفقه الحنبلي معروف، وأظنه لا يجهل كثير من الطلاب المرجع الأساسي فيه الذي هو "المغني" لا بن قدامة، وهناك كتب أخرى ككشاف القناع وغيرها والكافي ونحوها من الكتب التي هي أساس في المذهب.

هذه المراجع الفقهية الكلية لا تغني الباحث عن المراجع الجزئية التي قد يحتاجها في المسألة، لاسيما بعد مجيء العصر الحديث وظهور الكثير من النوازل الفقهية التي تتطلب بيان الحكم الشرعي فيها، فهذا التطور الذي حدث في العصر الحديث جعل العلماء يهتمون **بفقه النوازل** ويكتبون في هذه النوازل المستجدة، ولاسيما في مجال الاقتصاد والطب والأنظمة ونحوها من الموضوعات التي تستحق من طالب العلم الشرعي أن يوليها اهتمامه وأن يستفيد مما كُتب من البحوث المعاصرة في هذا المجال، لأن بحثه قد يكون ليس مما في موضوع قد بحثه الفقهاء القدامى، ولكن قد يكون في نازلة فقهية معاصرة، فيحتاج هنا إلى الرجوع إلى هذه الكتب والأبحاث الفقهية المعاصرة، وهذه مظانها الرسائل العلمية، وأيضا فتاوى المجامع الفقهية، وأيضا البحوث المحكمة التي تنشر في المجلات الفقهية، سواء في داخل المملكة أو في خارجها، فإذا رجع الباحث إلى هذه المراجع في الفقه يستفيد إن شاء الله من الخير الكثير، ويغتني ذهنه وتغتني تجربته بالكثير من العلوم الجديدة والمعارف الجديدة في مجال الفقه مما كان نتيجة هذه النوازل المستجدة.

بالنسبة لأصول الفقه كما يُعلم مَن أسس أصول الفقه أو وضع أصوله الأولى هو الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة"، والرسالة قد طبعت محققة، ويمكن لطالب العلم الوقوف عليها، بجانب ذلك هناك الكثير من الكتب، من أشهرها والذي يرجع الناس إليه ومختصره في كلية الشريعة كتاب ا بن قدامة "روضة الناظر" اختصر المستصفي فـ"المستصفي" للغزالي يعتبر من الكتب التي يدور عليها علم أصول الفقه، كذلك هناك كتب أخرى كـ"قواعد الأحكام في مصالح الأنام" و"المسودة" لابن تيمية، "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لا بن القيم الجوزية وغيرها من الكتب الكثيرة في مجال أصول الفقه، وقد اعتني بهذا العلم أخيرا، وظهرت فيه العديد من الرسائل العلمية، فيستفيد الباحث مما يجده سواء كان يريد جزئية من علم أصول الفقه فسجدها في الغالب في هذه الرسائل التي تُعنى بجوانب من علم أصول الفقه، يأخذ الباحث موضوعا معينا أو قطاعا معينا من العلم ويبحثه بحثا موسع.

كذلك من الكتب المهمة في مجال أصول الفقه **كتب مقاصد التشريع**، مقاصد التشريع أولها الشارع أساسا، حتى عدها الشاطبي أنها هي الأدلة القطعية التي ترد إليها الأدلة الجزئية، ومقاصد التشريع من أشهر من كتب فيها ونظّرها وأصّل لها وتوسع فيها هو الشاطبي في كتابه "الموافقات" ولكن لا يعني أنه هو الذي ابتدع هذا الفن، إنما قد سبق إليه من علماء كثر، فالأصل أن الاعتناء بالمقاصد

أساسا هو في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من الذين اعتنوا بها أو كانوا يلاحظونها في الفتوى من الصحابة مثلاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، ومن التابعين إبراهيم النخعي وغيره، ثم بدأت تظهر أو تُنظّر ويُكتب عنها، مثلاً كتب عنها الجويني وكتب الغزالي، وأيضا ابن تيمية اعتنى بها اعتناء كبيرا، وإن كانت عنايته مفرقة، وقد كتب رسالة عن المقاصد عنده، ومن التميز الذي اهتم به أنه اهتم بمقاصد التشريع في الجانب الأخروي، وليس فقط مقاصد التشريع في الجانب الدنيوي أو في حياة الناس، فكان الذي اعتنى به السابقون –بحسب علمه- هو العناية بمقاصد التشريع ذات الصلة بحياة الناس ومعاشهم، والتي هي تعتبر من الضرورات الخمس ثم ما بعدها، لكن ابن تيمية توسع في المقاصد الأخروية وجعلها هي الأساس للمقاصد الدنيوية والحاكمة عليها، أيضا تلميذه ابن القيم اهتم بمقاصد التشريع وركز عليها كثيرا، ومن جاء من بعدهم كما قلت جاء الشاطبي وتوسع وأصّل هذا الموضوع على أساس أنه علم وأنه أساس في الاستنباط من الشريعة، وبيّن المنهجية التي توصّل من خلالها إلى مقاصد تشريع وهي **منهجية الاستقراء** ولا سيما الاستقراء المعنوي، فالاستقراء المعنوي كان أساسا في منهجيته أو في إبراز مقاصد التشريع الإسلامي.

في العصر الحديث اعتني بكتاب الشاطبي كثيراً، وكتبت حوله العديد من الأبحاث والرسائل، وبدأ الاهتمام بعلم المقاصد مرة أخرى، وهو جدير حقيقة بالاهتمام، هذا ينبغي أن لا يغفل عنه طالب العلم في الشريعة، وأن يكون مستحضرا لهذا الجانب ومعتنيا به على وجه الخصوص.

طبعا من الأشياء التي تكمل هذا الجانب **الاهتمام بتاريخ التشريع أو تاريخ الفكر الفقهي في الحضارة الإسلامية، فالتشريع الإسلامي** كتب فيه كثيرا ككتاب محمد الخضري وعبد الوهاب خلاَّف وغيرهم ممن كتب في هذا المجال، حيث يمكن أن يستفاد منه في جانب أصول الفقه.

التاريخ قد يحتاجه الإنسان، والكتب كثيرة في مجال التاريخ، سواء كتاب الطبري وكتاب ابن الأثير وكتاب ابن كثير البداية والنهاية، هذه كلها كتب كتبت في علم التاريخ فيمكن للطالب أن يستفيد منها، بما أن من تخصصات الشريعة **الثقافة الإسلامية** نشير إلى بعض المسائل التي لها صلة بحاضر العالم الإسلامي، فهناك كتاب "حاضر العالم الإسلامي" لكاتب أمريكي وهذا ترجمه عجاج نويهض وطبع الكتاب، لكن يعتبر الكتاب ليس عن الحاضر الآن المعاصر وإنما عن وضع العالم الإسلامي في العصر الحديث، لأن الكتاب وقف عند حد معين، لكن جاءت بعده كتب يمكن أن تفيد عن حاضر العالم الإسلامي، هناك كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" هو كتيب صغير لكن بالرغم من صغره يكشف عن استراتيجية التنصير ورسائله وآلياته في اختراق العالم الإسلامي.

ممن عني بمشكلات العالم الإسلامي مالك بن نبي في كل كتاباته، وكتبها تحت مشكلات حضارة، يحلل فيها واقع العالم الإسلامي ويبين أسباب تخلفه والظواهر المرَضِيَّة فيه، وكيف يمكن الخروج من هذه

الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي، هناك من الكتب ذات الصلة بالفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، هذا للدكتور محمد البيهي تحدث عن الاتجاهات الفكرية الإسلامية وآثار الاستشراق في بعضها وكيف كان صدى الاستشراق عليها، وبين أخطر المستشرقين الذين كتبوا حول العالم الإسلامي.

هناك جانب آخر يحتاجه طالب الشريعة وحاجته إليه أكيدة وهي ما سموه العلماء **علوم الوسائل (علوم اللغة)** لأن اللغة يحتاج إليها طالب العلم الشرعي لضبط اللسان، وأيضا فهم الكلمات وفهم الجمل ونحوها، ويحتاج إليها في معرفة المعاني والتأويل ونحوه أي تفسير المعاني، كل هذه الأمور هو بحاجة إليها، فحاجته إلى اللغة العربية وحاجته إلى ضبط الأسلوب حاجته إلى اللغة العربية حاجة أكيدة وضرورية، ولذلك أذكر بعض الأشياء مثل:

المعاجم والمعاجم عديدة جدا، لكن من أوسعها "لسان العرب" لابن منظور، وهناك معاجم أخرى يمكن أن يستفيد منها الطالب ومن المعاجم المشهورة "القاموس المحيط" لفيروز أبادي، هذا من المعاجم المشهور، نكتفي بهذا القدر بالنسبة للمعاجم، وإلا فهي كثيرة جدا، لكن كما قلت نأخذ بالأشياء المهمة.

من الكتب التي تفيد حقيقة في ضبط اللسان وفي الاستفادة لمن أراد أن يمارس ما يسمى **النحو الوظيفي أو ضبط الجانب العملي من النحو** "جامع الدروس العربية" وفي كتاب "النحو الوظيفي" أيضا اعتمد فيه على الجانب التطبيقي، وأَكْثَرَ من الشواهد من القرآن الكريم وغيره، فهنا ينفع في معرفة النحو وأيضا ضبط لسانه من الناحية اللغوية، هناك في **جانب تصريف الأسماء** "البيان في تصريف الأسماء" للدكتور أحمد كحيل رحمه الله وهو من العلماء المشهورين والمجيدين في مجال النحو ومجال اللغة، وهذا الكتاب كما يقول المؤلف عرض فيه تصريف الأسماء وبسط أصوله ووضح ما غمض من مسائله وكشف عما أبهم من مذاهبه وطرائقه، وعرض لآراء الأئمة ودلائلهم وحججهم، واختار الآراء التي تساير اللغة في نموها وتقدمها من غير أن تقف بها جامدة، ويقول أنه طبع الجزء الأول منه عام ٩٠ لا أدري هل طبع باقي الكتاب أم لا، إنما بحسب ما كتب عنه أنه كتاب جيد ويستفاد منه.

هناك **كتب فيما يتعلق بالبلاغة وفي الموسوعات** لا نتوقف عندها كثيرا، لكنها تفيد الكاتب في جانبه الثقافي أو في تثقيفه اللغوي، وفي تجويد أسلوبه، والكتب فيها كثيرة جدا، سواء في النثر أو في الشعر، في النثر من الأمثال أو نحوها.

أيضا هناك **كتب عن الأدباء وتاريخ اللغة** يجدها الإنسان في مظانها، لا نقف عندها كثيراً.

هناك كتب لم تصنف تحت فن معين، لأنها كتب جامعة يمكن أن يستفيد منها الباحث مثل "مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" فهذه المجموعة جمعت العقيدة على الحديث على القرآن على

التفسير على الفقه على الأصول على السلوك على الفرق، لأنها فتاوى في أشياء كثيرة جدا فجمعت، فبالتالي لا يمكنه تصنيفها تحت فن معين، وإنما يستفيد منها كل الباحثين كل بحسب مراده، هناك كتاب جامع ومفيد في بيان أسرار التشريع اسمه "حجة الله البالغة" لعبد الرحيم الدهلوي هذا حاول أن يركز على مقاصد التشريع وحكمة التشريع، أحكام الشريعة بعامة، سواء بجانبها العقدي أو جانبها العبادي أو جانبها العملي أو التعاملي كل هذه الجوانب، حاول أن يتلمس الحكم، وأيضا لكي يبين كلية الشريعة وتكاملها.